علم العروض

علم العروض وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني الهجري وهو أول من ألف الأوزان وجمع الأعاريض والضروب فوضع فيها كتاباً سماه العروض وقد كانت هذه الكلمة " العروض" تطلق في اللغة على أكثر من معنى، ومن معانيها: " مكة " لا عتراضها وسط البلاد، وقد كان هذا اسمها وكان الخليل مقيما بها حين ألف كتابه، فأطلق عليه اسم العروض تيمنا ببيئة مكة التي فيها ألهم قواعد الوزن الشعري. كما تنسب تارة إلى الأصل اللغوي.

فالعروض لغة:

اسم مما يعرض عليه الشيء ، والشيء يعرض على هذا العلم بمعرفة بحره وصحيح موزونه من فاسده.

والعروض: آخر جزء من القسم الأول من البيت، وهي مؤنثة. ويعرف العروض بأنه العلم الذي يدرس الوزن وهو ميزان يميز صحيح الشعر من فاسده

والوزن . هو صورة الكلام الذي نسميه شعرا، الصورة التي بغيرها لا يكون الكلام شعرا ويدرس هذه الظاهرة ليعين القارئ الناقد على التمييز بين الخطأ والصواب وليعين الشاعر المبتدئ على إجادة فنه واختصار الطريق إليه. وبتعبير آخر: هي تجزئة البيت بمقدار من التفعيلات لمعرفة البحر الذي وزن عليه البيت ويسمى أيضا بالتقطيع.

إن العروض يجنبنا مواضع الزلل حين ننشد الأبيات ويعرفنا أن القرآن الكريم ليس بشعر بل نسيج وحده. وقد بلغ غلو بعض القدماء أن اشترطوا في تسمية الشعر شعرا أن يقصد إليه قصدا ويعمد عمدا وعلى هذا فليس بشعر ما كان وزنه اتفاقا . أما غرضه فهو الضبط والتصنيف ووضع المقاييس.

ويقسم اللغويون الأعاريض إلى ثلاثة أنواع :

1ـ العروض الكمي (Métrique quantitative)

2ـ عروض المقاطع (Métrique syllabique)

3ـ عروض النبر (Métrique accentuelle)

هل عرف العرب القدماء هذا الفن ؟!.

يقول أحمد بن فارس (ت 395هـ): وأما العروض فمن الدليل عليه أنه كان متعارفا اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا إنه شعر، فقال الوليد بن المغيرة منكرا عليهم، لقد عرضت ما يقرؤه محمد على إقراء الشعر. هزجه ورجزه، وكذا وكذا، فلم أره يشبه شيئا من ذلك أيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر؟! (1)

((ما يهمنا في نص ابن فارس، بغض النظر عن فهمه لطبيعة عمل الخليل وهو الإشارة الواضحة إلى معرفة الجاهليين بقواعد الهزج و الرجز وكذا وكذا، وفي هذا الاتجاه لدينا نص أكثر تفصيلا ووضوحا للأخفش في كتابه "القوافي" يقول فيه : "سمعت كثيرا من العرب يقول : جميع الشعر قصيد ورمل ورجز، أما القصيد فالطويل والبسيط التام والكامل التام والمديد التام والوافر التام والرجز التام، وهذا ما تغنى به الركبان، ولم نسمعهم يتغننون إلا بهذه الأبنية وقد زعم أنهم يتغنون بالخفيف . والرمل كل ما كان غير هذا من الشعر، وغير الرجز فهو رمل. والرجز عند العرب كل ما كان على ثلاثة أجزاء وهو الذي يترنمون به في عملهم وسوقهم ويحدون به . هذا النص شديد الأهمية لأنه يقطع بأن العرب كانت تعرف ـ تفصيلا ـ الفارق بين أنواع شعرهم بل وبين أوزان هذا الشعر ، وهذا ما يشككنا في مدى ودقة رواية الأخفش عن (كثير من العرب) ويثير لدينا احتمال أن تكون معرفة الأخفش العروضية قد تدخلت في الرواية غير أن نصا آخر يضيف إلى معرفة العرب هذه معرفة أخرى بالتقطيع، والنص له روايتان إحداهما يدخل الأخفش في

سلسلة إسنادها، يقول أبو بكر القظاعي: تكاد تجزئة الخليل تكون مسموعة من العرب، فإن أبا الحسن الأخفش روى عن الحسن أنه قال: سألت الخليل بن أحمد عن العروض فقلت له: هلا عرفت لها أصلا، قال: نعم مررت بالمدينة حاجا بينما أنا في بعض طرقاتها ، إذ أبصرت بشيخ على باب يعلم غلاما ، وهو يقول له: قل:

نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم نعم نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا .

قال الخليل: فد نوت منه فسلمت عليه ، وقلت: أيها الشيخ ما لذي تقوله لهذا الصبي ؟ فذكر أن هذا العلم شيء يتوارثه هؤلاء الصبية عند بلوغهم. وهو علم عندهم يسمى التنعيم ، لقولهم فيه نعم، قال الخليل: فحججت، ثم رجعت إلى المدينة فأحكمتها.

ويكاد هذا النص ـ المهم ـ أن يكون أقرب النصوص إلى إحكام المنطق والعقل ، إذا يمكنه أن يتضمن الإشارات الأولى التي أوردناها ، ويجعل لها نسقا قريبا من التصور المعقول.

فالخليل بن أحمد اللغوي العارف بالنغم والرياضيات كان مشغولا- كعلماء عصره ـ بحماية اللغة و الشعر و القرآن والحديث من اللحن ، وذلك عن طريق القواعد والقوانين العامة ومن الطبيعي أن يفيد بكل ما يعرف في مختلف المجالات، ومن ثم فقد أفاد من جمعه لأشعار العرب المطابقة بين (تنعيمهم) وطرقات الصفارين على الطست ، ومن طريقة التبادل و التوافيق الرياضية لكي يقيم دوائره الخمس، كما أفاد منها في معجمه العين غير أن المشكلة التي تبقى بعد ذلك هي : أيُُّ هذه المعارف كان الأساس ؟ وأَيُّها طغي على الآخر ؟ وبعبارة أخرى: كيف تكون نموذج الخليل النظري ؟ وكيف أقام العلاقة بين هذا النموذج (الأوزان و الدوائر) والواقع الشعري ؟ و أيهما كان أولا ؟

هنا تأتي أهمية نص الأخفش في كتابه الذي يعتبر أقدم ما وصلنا من كتب عن كيفية وضع العروض يقول فيه: " أما وضع العروض فإنهم جمعوا كل ما وصل إليهم من أبنية العرب فعرفوا عدد حروفها ساكِنها ومتحركِها ، وهذا البناء

المؤلف من الكلام هو الذي تسميه العرب شعرا فما وافق هذا البناء الذي سمته العرب شعرا في عدد حروفه ساكنةً ومتحركةً فهو شعر ، وما خالفه وإن أشبه في بعض الأشياء فليس اسمه شعرا" . وأهمية النص تكمن في أنه يشير إلى أولوية الواقع الشعري المسموع عن العرب ، وعده لأساس الذي وضع عليه العروض.

والأمر الذي نستخلصه أن أساس الأوزان هو عدد الحروف متحركة وساكنة أو بمعنى آخر : توالى الحركات والسكنات في نسق محدد.)) (2)

عدد البحور:

وقد حصر الخليل بحورا لشعر في خمسة عشرة بحرا وهي :

الطويل / المديد / البسيط / الوافر / الكامل / الهزج / الرجز/ الرمل / السريع / المنسرح/ الخفيف / المضارع/ المقتضب / المجتث /المتقارب

وزاد عليها الأخفش(*) : بحرا سماه "المتدارك أو المحدث " .

والحقيقة أن هذا البحر لاوجود له في كتاب الأخفش وكل ما في الأمر أن الخليل أهمله بالرغم من وجوده ضمن دائرة المتفق ربما لسبب يعود إلى" الذوق " أو أن العرب القدماء لم ينسجوا عليه، ولست أدري لماذا ينسبه علماء العروض إلى الأخفش؟

وقد نُظمت أسماء هذه البحور في بيتين :

طويل يمده البسط بالوفر كامل ويهزج في رجز ويرمل مسرعا

فسرح خفيفا ضارعا تقتضب لنا من اجتثت من قرب لتدرك مطمعا

الأحـــرف

تعريف الحرف :

هو الوحدة البسيطة التي يتألف منها البيت . ويلزمنا أن نلاحظ أن الحرف يدل في العربية على شيئين مختلفين :

الحرف المنطوق والحرف المكتوب ، وبما أن الشعر العمودي ظاهرة سمعية قبل أن يكون ظاهرة خطية فإن الوحدة البسيطة المشار إليها هي الحرف المنطوق . ومنه فإننا لن نعد في العروض إلا ما يظهر على اللسان .

الأحرف التي تتركب منها الأسباب و الأوتاد و الفواصل عشرة "10" وهي:

اللام / الميم / العين/ التاء/ السين/ الياء /الواو/الفاء / النون/ الألف .

يجمعها قولك (لمعت سيوفنا) . و من الأسباب و الأوتاد و الفواصل ، وهي مجموعة في قولنا :

" لَمْ /0 ، أَرَ // ، عَلى //0 ، ظْهِرِ/0/ جَبِلْنَ ///0 سَمَكَتُن////0 " تتكون التفاعيل ".

و كما تسمى التفاعيل تسمى " أجزاءا و أركانا و أوزانا " .

أ/ الأسباب نوعان :

1- سبب خفيف: وهو حرفان ثانيهما ساكن ، نحو: منْ ، عنْ ، ما ، قمْ ، كمْ ، لا، لو .أيْ

يتركب من متحرك وساكن ، ونرمز للسبب الخفيف بـ: س أوبِ/0

2- سبب ثقيل : وهو حرفان متحركان ، نحو: بكَ، لكَ ،هوَ ،هيَ ، ونرمز له بـ سَ أوبِ //

ب/ الأوتاد وهي نوعان :

1- وتد مجموع : وهو ثلاثة أحرف ثالثها ساكن ، نحو : إلى ،دعا ، رمى ، فتى. ونرمز له بالرمز "و" أوبِ//0

2- وتد مفروق : وهو ثلاثة أحرف ثانيها ساكن، نحو: نال، أين، ونرمز له ب "و" أوبِ /0/

ج/ الفواصل نوعان:

1- فاصلة صغرى : وهي ثلاثة أحرف متحركة بعدها ساكن نحو :

فعلتْ كتبتْ رجلٌ ونرمز لها ب :َس س أوْ ْ بِ ///0

2- فاصلة كبرى: وهي أربعة أحرف متحركة بعدها ساكن نحو: فَعِلَتُنْ، سَمَكَتن،ٌضَرَبَهُمْ. ونرمز لها بِ: سَ و، أو بِ ////0

ملاحظة:

وردفي كتاب العمدة (3) أن الفاصلة الصغرى تسمى الوتد الثلاثي والكبرى تسمى الوتد الرباعي. أما في المنهاج(4) فقد ورد مصطلح"سبب متوال" وهو متحرك يتوالى بعده ساكنان نحو قالْ /00 ، نارْ /00 وهو الذي نصطلح عليه في اللسانيات بالمقطع الممدد أو بالغ الطول. ومصطلح وتد متضاعف وهو متحركان بعدهما ساكنان نحو مَقَالْ //00 ، مَنَارْ //00. فالسبب الثقيل لايقع في نهاية الجزء وإنما يقع في صدر الجزء، والسبب المتوالي والوتد المتضاعف لا يقعان إلا في نهاية الأعاريض والضروب ، والسبب الخفيف والوتد المجموع هما اللذان يقعان من صدور الأجزاء وأوساطهما وأعجازهما كل موقع

قاعدة:

لايتجاور في الشعر العربي وتِدان، ولا يتجاور أكثر من سببين.(5)